الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

توظيف اللغة العامية في الأعمال الروائية الفلسطينية: رواية أعراس آمنة لإبراهيم نصر الله أنموذجا

Employing Colloquial Language in Palestinian Fiction: The Novel 'Safe Weddings' by Ibrahim Nasrallah as a Model

جورج أبو الدنين
George Abouldinein
pgspal1@gmail.com
الأستاذ المشارك الدكتور عمر بن محمد دين
Assoc. Prof. Dr. Omar bin Mohammed Din
omar.din@mediu.edu.my
كلية اللغات بجامعة المدينة العالمية – كوالالمبور – ماليزيا.

ملخص البحث: أدت التغيرات التكنولوجية الهائلة في العقدين الأخيرين إلى تغيرات مباشرة في أساليب التواصل بين الناس، وبما أن الأدب انعكاس للحياة، وهو جزء من طرق التواصل التي يبنيها الأدب مع المتلقي؛ فقد لحقه ما لحق التفكير اللغوي في المجتمع من ميل نحو التسهيل والواقعية والقرب من لغة القراء وأفكارهم، ما دفع بعدد كبير من الأدباء إلى توظيف اللغة العامية المحكية في الأدب، ارتباطاً بالواقع وتقرّباً من المتلقين، وكانت الرواية الميدان الخصب المناسب لمثل هذه التحولات، خاصة أنّ فيها من التقنيات السردية ما يجعلها غنية بالمحاكاة الواقعية لكلام الإنسان وتفكيره وأنماط حياته. ونلاحظ بشكل واضح أن هذه النزعة اللغوية الحديثة نوعاً ما في الأدب بدأت تطغى بشكل كبير على أعمال الروائيين الفلسطينيين في أدبهم الذي يعبر عن المأساة الفلسطينية، ومن أهمهم في الفترة الحالية الروائي إبراهيم نصر الله، الذي توجه بشكل واضح في أعماله الأخيرة نحو استعمال اللغة المحكية وإدراجها في الحوار الخارجي بين الشخصيات، خاصة في رواية "أعراس آمنة" التي هي جزء من الملهاة الفلسطينية، ما يستدعي دراسة هذا التوظيف وفهم أبعاده ودلالاته واستنتاج العوامل الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في ظهوره بهذا المستوى.

الكلمات المفتاحية: اللغة العامية – الأعمال الروائية – إبراهيم نصرالله

ABSTRACT: The massive technological changes in the last two decades have led to direct changes in the methods of communication between people, and since literature is a reflection of life, and it is part of the methods of communication that literature builds with the recipient; The linguistic thinking in society followed him with a tendency towards facilitation, realism, and closeness to the language and ideas of the readers, which prompted a large number of writers to employ the colloquial

language spoken in literature, in connection with reality and closeness to the recipients, and the novel was the fertile field suitable for such transformations, especially since It contains narrative techniques that make it rich in realistic simulation of human speech, thinking, and lifestyles. We clearly note that this somewhat modern linguistic tendency in literature has begun to largely dominate the works of Palestinian novelists in their literature that expresses the Palestinian tragedy. In the external dialogue between the characters, especially in the novel "Safe Weddings", which is part of the Palestinian comedy, which necessitates studying this employment, understanding its dimensions and implications, and deducing the social and cultural factors that contributed to its emergence at this level.

Keywords: Colloquial Language – Fictional Works – Ibrahim Nasrallah

مقدمة:

تعد اللغة العنصر الأساس في بناء الرواية وتشكيل عالمها الفني إلى جانب العناصر البنائية الأخرى التي يتكون منها العمل الأدبي من شخوص وفضاء وبنية زمنية ورؤية سردية وأحداث " فباللغة تنطق الشخصيات، وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب. واللغة هي الوعاء الذي يصب فيه الروائي أفكاره، ويجسد رؤيته في صورة محسوسة من خلال استعمال مفردات وتراكيب، أو تعبيرات تقريرية أو أساليب إيحائية :انزياحية ورمزية، أو تعبيرات تناصية. كما أن الروائي البارع هو الذي يمتلك ناصية اللغة، ويحسن توظيف مفرداتها وتراكيبها توظيفا أدبياً سامياً، ويستثمرها في سياقات تواصلية وتداولية ذات أغراض فنية وتعبيرية في قمة البلاغة والروعة الفنية.

ويشير المصري وأبو حسن (المصري وأبو حسن، 2014، 37) إلى أن مشكلة الازدواجية اللغوية في البلدان العربية ترجع إلى المشكلة اللغوية نفسها وهي مشكلة تشكل مخاطر كثيرة على العربية الفصحى؛ ذلك أن العرب اليوم لا يتكلمون العربية الفصحى، فالعامية هي الدارجة على ألسنتهم، والمستخدمة في جل محادثاتهم وحواراتهم، وهي المتداولة فيما بينهم وفي نواديهم ومحافلهم، والعامية نفسها ليست واحدة، وإنما هي عاميات متعددة، ففي كل قطر أو بلد ثمة عامية، أو ربما عاميات متعددة أيضًا، حتى ليصعب على الشامي أن يفهم اليمني، وقد يتعذر على العراقي فهم التونس ي أو المغربي، بل إن أبناء القطر الواحد قد يجدون صعوبة في فهم بعضهم بعضًا حيث يكاد يصعب على العربي في شمال العراق كما يقول السامرائي فهم قروي من الأهواز في جنوب العراق.

والواقع أن اللغة تختلف عن مكونات الخطاب الروائي؛ لكونها القالب الذي يحمل إلى المتلقي الفكرة أو العاطفة أو الجمال، الحامل لرؤية الكاتب الإنسانية، وهي القادرة على جعل الماضي واقعاً معيشًا، كما أنها تمتد بالحاضر إلى رؤية مستقبلية مشحونة بالتوقعات. ولغة الرواية هي التي تجعل منها فناً متميزاً، وتجعل قراءتها عملاً عميقاً على صعيد الفكر والروح معاً، فالرواية لا تجذب القارئ بعناصر فلسفية أو تاريخية أو اجتماعية أو فنية فقط، إنما هناك شيء آخر إضافي يجعل من العمل الروائي –عن طريق عبقرية اللغة أو

عن طريق التفجر اللغوي والوهج اللغوي– شيئاً قائماً بحد ذاته كعمل تنظر إليه وتتأمل وتتعلق به وتتغنى روحاً وفكراً، ويصبح في النهاية جزءاً من عصره (حمدان، 2008، 104).

المبحث الأول: الازدواجية اللغوية في اللغة العربية

يمكن لنا تعريف الازدواجية بحسب ما وردت عند ستيتية (ستيتية، 1987، 122) بأنها استخدام أكثر من لهجة ولغة محكية خارج إطار اللغة المعيارية المستخدمة عند جماعة معينة، وهو ما نعني به اللغة العامية، فإذا نظرنا إلى تاريخ الازدواجية في اللغة العربية، وجدنا غير قليل من الباحثين يشير إلى امتدادها إلى العصر الجاهلي، وأما البذور الحقيقية للازدواجية فقد تمثلت في اختلاط العرب بالممالك المفتوحة، والخروج إلى الأمصار، إذ إن العرب الفاتحين الذين تناوشوا الممالك المفتوحة، تناوشتهم هي الأخرى بتأثير لهجي، لم يكن لهم محيص عنه (الموسى، 1992، 1).

ولقد تعددت مستويات الدعوة إلى العامية في الأدب، تعدداً يتصل بقدرات الكتاب ومواهبهم الإبداعية شعراً ونثراً مرة، وبوعيهم السياسي والاجتماعي والثقافي مرة أخرى، وبالإمكانات التي يتيحها الجنس الأدبي المتناول مرة ثالثة وكانت هذه المستويات تتنوع أيضاً، وترتفع صعداً من الاقتصار على استعمال الألفاظ والعبارات العامية، إلى إجراء الحوار بالعامية، إلى المراوحة بين الفصحى والعامية، وإلى صياغة كاملة بالعامية للقصة والقصيدة. ويشير باشا (باشا، 1990، 56) إلى أن الازدواجية اللغوية في الأدب، ما زالت تظهر في الشعر والنثر، إلا أن الوعي بالأبعاد القومية والدينية والحضارية التي ينطوي عليها استخدام الفصحى صار أكبر، وتراجعت الدعوات الإقليمية والمحلية، وإذا كانت العامية لم تتلاشَ من العمل الأدبي، فإنها صارت تتوافر بالشكل الذي يجعل العمل الأدبي مقروءاً على امتداد الوطن العربي .وكما تنادى اللغويون إلى ضرورة استخدام الفصحى، فكذلك الأدباء فعلوا.

وهذا حنا مينة يرد دعوى قصور الفصحى بقوله :"العجز كامن في الروائي أو القاص، وليس في اللغة، فالروائي الممتاز يستطيع أن يطوع لغة الحوار بالفصحى لأدق أغراضه، وألصق تعابيره في الإحساس بالبيئة، لأن لكل كلمة عامية جذراً في الفصحى، ومع التدبير والمعاناة يمكن الملاءمة وإدارة حوار فصيح تخاله عامياً، لأن هذا من الكلام الذي يتداوله الناس، لكنه مهذب منتقى، محذوفة منه الأحرف التي أدخلتها عليه اللهجات المتعددة، فإذا قرأه العامل شعر أنه كلامه، وإذا قرأه المثقف لم ينكره، ولم ير فيه شيئاً غريباً عن لغة الكتب، وبذلك نرفع العامل والفلاح إلينا، فلا نتقعر، ولا نبتعد عنهما، ولا ننزل إلى أخطاء اللغة التي نزلا إليها، ونزلنا في كلامنا العادي إليها" (أبو هيف، 1990، 53).

ومن المهم الانتباه إليه، هو أن مفهوم الواقعية في لغة الحوار قد وجد دراسات جادة وبحثاً يعيد النظر فيما سبق من آراء، فالم قصود بواقعية اللغة " ملاءمتها لشخصيات الرواية، فهي الواقعية النفسية والعقلية والعاطفية، فلا يتحدث أيّ بأفكار الفلاسفة وأما

الواقعية اللفظية فليست بمقصودة في التأليف المسرحي أو التأليف الأدبي الذي لا يخرج عن أن يكون فناً، وكل فن صناعة، وليست الواقعية بالتي تعطي الحوار قوة مشاكلته للحياة، وإنما تأتي هذه القوة من الواقعية الإنسانية قبل كل شيء (العتوم، 2007، 171).

ومن ثم، فإن العمل الأدبي لا ينفصل عن عناصره البشرية، ويستطيع العمل الأدبي تمثل مختلف الطبقات اللهجية للشخوص الذين يعاينهم، إذ أن الأديب لا بد أن يُدخل الواقع – على اختلاف مزاجاته – إلى الذات، ويتشربه جميعاً بالقدر الذي يمكّنه آخر الأمر أن يبدع عمله، الذي سيكون استدخالاً لنوايا الآخرين –على حد تعبير باختين (1987، 68) – وقد خدمت نواياه .فيقول في حديثه عن الروائي إنه لا يستأصل نوايا الآخرين من لغة أعماله المتعددة الأصوات، ولا يحطم المنظورات والعوالم الصغيرة الاجتماعية – الإيديولوجية التي تكشف عن نفسها فيما وراء هذا التعدد الصوتي :إنه يدخلها إلى عمله، إنه يستخدم خطابات مأهولة مسبقاً بنوايا الآخرين الاجتماعية، ويرغمها على خدمة نواياه الجديدة.

وإذا نظرنا إلى اللغة لدى الروائيين الفلسطينيين سنرى أن لكل روائي – في الأغلب – أسلوبه الخاص به وإن التقى مع غيره في استخدام اللغة المرنة البعيدة عن المبالغة أو الابتذال، وهي لغة على بساطتها تظل قادرة على معالجة الموضوعات اليومية بتشابكاتها المتعددة، مع إظهار السمات المكونة للشخوص، ولقد جاءت لغة بعض الروائيين الفلسطينيين مليئة بالقلق والتوتر والتمزق الإنساني، ناقلة لنا الواقع المأساوي الذي تعيشه النماذج النسائية عبر استخدام الألفاظ الدالة، كما عمدت بعض الروايات إلى استخدام نصوص من التراث الشعبي الفلسطيني (الأمثال ، الأغاني ، المواويل) التي عكست الملامح الاجتماعية والعقلية لكثير من الشخصيات النسوية تأكيداً على طابعها الشعبي المرتبط بجذورها التاريخية المناقضة لمظاهر الاستلاب والقهر، وفي مجال اللغة أيضاً يلاحظ الباحث المتعمق أن بعض الروائيين قد عمدوا إلى توظيف الأحلام والرؤى عبر مفردات دالة موحية تعكس ما يعتمل في داخل الشخوص النسائية من وجع وقهر (العيلة، http://aslimnet.free.fr/div/z_aila2.htm).

المبحث الثاني: مضمون رواية أعراس آمنة

رواية أعراس آمنة للروائي إبراهيم نصر الله الصادرة عن الدار العربية للعلوم ببيروت، جزء من مشروع الملهاة الفلسطينية الذي بدأه نصر الله العام 1985، وهو عبارة عن عدة روايات مستقلة على مستوى الشخصيات والبناء والمدة الزمنية.

وترسم الروايات صورة من الداخل عن الحياة الفلسطينية، فالروائي نصر الله يصور الألم الفلسطيني، وتناول في روايته "أعراس آمنة" موضوع الموت والشهادة والصراع والتناقضات، لكنه وظف كل ذلك لعرض ثنائية الفرح والحزن والعرس والجنازة، والحياة والموت!، والرواية هي رواية واقعية على لسان النساء، ويؤكد (الحمداني، 1989، 37) أن هذه الشخصيات النسائية شخصيات محورية في ظل اعتقال

الرجال أو استشهادهم، إنه الواقع المؤلم الذي يجعل الأنثى تقول: كانت واحدة من الليالي الثقيلة، خطر لي أن أقوم بكتابة تحقيق صحفي عنوانه من يستطيع النوم؟ ولكنني لم أفعل، فقد كان يكفي أن أكتب كل هواجسي الليلية لادرك ما الذي يحدث في غزة! (الرواية، 2007، 2).

ولم يهمل نصر الله مفردات القتل والسلاح الذي ينكل بالأبرياء، فذكر القصف والقنابل والصواريخ والدبابات والطائرات، لدرجة أنه اختلط على الناس صوت قرع الباب بصوت القذائف: رجعوا يقصفون أم أن هناك من يطرق الباب؟ سألت أمي (الرواية، 2007، 6).

ولعل اللافت ضياع الشخصيات واختلاط الأسماء. فالأخت تشبه تماما أختها، لدرجة أن استشهاد إحداهما يؤدي إلى تقمص الاسم نفسه.

"تمر بي إحدى جاراتنا تقول لي: صباح الخير يا رندة.

فأقول لها أنا لميس يا خالتي!

فتقول لا تؤاخذيني.

وبعد نصف ساعة.. تقول لي:

مرحبا يا لميس..

فأقول لها أنا رندة..."(الرواية، 2007، 136).

إنها عقدة المنافسة الأخوية تلك التي جعلت الأخت تفضل اسم اختها لتطلقه على نفسها منذ الصغر...

ولعل مؤشرات البارانويا واضحة في الشخصية الأنثوية: "أمي أصبحت تخاف علي، قالت لي إذا بقيت، هكذا ستصبحين مجنونة!" (الرواية، 2007، 85).

فضلا عن الدلالات النفسية فإن الرواية مفعمة بالعادات والعلاقات الاجتماعية، فيها تحد للقهر وفيها إرادة الحياة، "إذ إن الأعراس تقام رغم سجن القريب: صحيح أن وجود أبيك في السجن يجعل الأمر غير مناسب في نظر بعض الناس، لكن ذلك لا بد منه.. فلو انتظرنا حتى تتحسن أحوالنا... وتتحرر فلسطين.. لكان الأمر مصيبة ولا أحد تزوج ولا أحد خلف!" (الرواية، 2007، 7).

ولعل هذا إشارة إلى نوع من المقاومة، إذ إن الإنجاب هو وسيلة لقهر الاحتلال الذي يحاول قتل الحياة والأمل!

"بحر غزة فيه ما يكفيه، بحيث لم يعد بحاجة إلى أيِّ دموع" (الرواية، 2007، 122)، بهذه الجملة التي أتت في تباشير نهاية رواية "أعراس آمنة"، اختصر الروائي إبراهيم نصر الله مضمون سرده والحوار من البداية وحتى النهاية، هناك في غزة، المدينة التي غزاها الظلام، وانتحرت معها الأحلام الضائعة، حيث يرصد الموت كلَّ ما هو حي، وما هو ميت حتى، تسلّل الكاتب بقلمه متجوّلاً بين الأرواح، واضعاً نصب عينيه فوهة البندقية التي تترصّد له في كلّ شخصية من شخصياته، وكلّ عبارة من عباراته.

آمنة تحضّر لعرس ابنها "صالح"، الذي تخاله حيّاً وتنسى أنه استشهد من زمن بعيد. يضعنا الكاتب في مخيّلتها وهي تحاوره وتطبخ له ولزوجها الشهيد وابنتها الشهيدة، وكأنّهم جميعاً أحياء يرزقون، ونكاد ننسى أنّهم رحلوا، ونشكّك في النشيج الصادر من كلامها، حتى تتجلّى الحقيقة في الصفحات المقبلة، ترنّ في شحوب الصمت أصداء حزينة، الكلّ يتجاوب مع خيال آمنة، يتعامل معها وكأنّ عائلتها ما زالت

موجودة، هو التضامن الصامت الذي يخشى أن يفضحه نطق الحرف حتى لا يشتّت الحزن ما تبقّى من الأمل، والويلُ إذا ما كُسر حاجز هذا الصمت (نصر الله، 2007).

و"رندة" أو توأمها "لميس" الفتاتان، ابنتا جارة آمنة التي تقطن بجوار منزلها مع الجدة، هي التي تسرد الرواية ضائعة تائهة في أن تكون هي نفسها رندة أو شقيقتها التوأم لميس، التي استشهدت ببندقية قنّاص رصدتها وهي تطل من سطح منزلها ترقب الأفق البعيد المشتّت بين أسوار فلسطين الحزينة، المخضّب بدماء لم تجف من شهداء كثيرين أصبح عددهم أكثر من عدد الأحياء بكثير.

رندة التي تحيق بأوجاع آمنة، وتحاول أن تشاركها أفراحها "المزعومة" من وحي خيالها المجنون بفقدان أحبائها، تصغي إليها بصمت، عندما تعرض عليها أن تزوّج ولدها الشهيد بأختها لميس، وتنفض عن عينيها سحباً لدموع مكبوتة لم يفرج عنهم الصمت إلا قليلاً، حتى لا تتجلّى الحقيقة ساطعة كالشمس، فتقضي على الأخضر واليابس، حقيقة أنَّ كلّهم قد رحلوا ولم يتركوا إلا الذكريات، إلا الصمت (نصر الله، 2007).

أمّ التوأم رندة ولميس، سخرت من واقع مجنون حانق، عندما ثارت على انتماء الشباب الفلسطينيين إلى حركتي "حماس" و"فتح" فالعدو واحد يرصد كلّ من يتجذّر من تلك الأرض المحتلة، ولا يأبه لانتمائه السياسي.

أراد الكاتب أن يفهمنا بأنّه لم يعد في القلب وجعٌ يئن أو عينٌ تدمع، الأحزان باتت مكدّسة مكوّمة كالملابس الممزّقة القذرة التي تنتظر من يغسلها ويصلحها، الموت بات أقوى من الحياة، ومن بقي حيّاً فهو ينتظر الموت في أيّ لحظة ويحفر قبره قبل الأوان.

التراجيديا الحاضرة في الرواية تسبغ السرد السلس الجميل بصبغةٍ اكتئابيّة تطغى على قلب القارئ، فيجتثّ هذا الحزن ويمضي قدماً في القراءة. يغلب السرد على هذا التجويف عندما يزخرف الرواية بعنصر التشويق، ويتخلّله الحوار الجميل الذي يعكس في مرآة حروفه كلّ الوجع الفلسطيني المرير.

وتبقى "آمنة" وحدها تتجوّل في الأسواق وبين البيوت وفي السماء والأرض، تعبّر عن أرضها المغتصبة ودمها الشهيد، تحاول أن تحيل الأحزان لأعراس تتحدّى كل ما يبتر قلبها من الأوجاع، لكنّها تدرك أنّها تحتال على نفسها، وأنّ هذا لا يعدو أن يكون محض مناورات منها حتى لا تشمِّت العدو الإسرائيلي بها. وفي عينيها مغزى لا يموت عن العروبة المفقودة التي ماتت عندما حملت فلسطين وحدها القضية، بيعت بأرخص الأثمان، وحرمت أن تتجرّأ برفع رأسها، فنهضت ممزقة مثقوبة من كل جانب بأطفال الحجارة وسيول الدماء التي تدفقّت من أجساد الشهداء (القدس العربي، 2017).

كما أن رواية أعراس آمنة نسيجٌ لملحمة العروبة الضائعة بين المحتل ومن ساعده، بين من خذلها وحاربها وباعها، والصمتُ ما زال قائماً لا يبرى من شتاء الويل ورياح الغدر، الصمتُ يطمسُ الحزن

لأيام، لشهور وربما لبضع سنين فقط، ولكنّه يستحيل لأرضٍ تُخرج أثقالها إن تكلم في يومٍ من الأيام (القدس العربي، 2017).

المبحث الثالث: اللغة في رواية أعراس آمنة:

اتبع لغةً قريبة من القارئ، بحيث دمج بين الأسلوب الأدبي والأسلوب المرن في كيفية إيصال الفكرة، وهذا تمثل بجميع جوانب الرواية، كما اتبع أسلوب تسلسل الأفكار في بعض المواضيع خاصة حين وصف معاناة الشخصيات والطريقة التي تحلل بها كل شخصية الأمور ولا سيما الشخصيات الرئيسة في داخل الرواية، بينما اتبع أسلوب الاستطراد حينما كان يتحدث عن انفعالات الشخصيات وسردهم الذاتي للأماكن حولهم وأفكارهم الاستطرادية حول الانفعالات من حولهم، ومن أمثلة ذلك قوله:

"دون أن أرى أخويّ جواد وسليم، دون أن أرى أحداً، خطفاً يمرّان في الظلام غالبا يقبلان يدي أمي ويطمئنان علينا، وهما لا يعرفان أننا نحن الذين نطمئن عليهم. أحيانا تمر بنا أيام كثيرة دون أن أراهما، لا، ذلك لا يعني أنني أمضي اليوم وراء باب مقفل، فأنا الوحيدة ربما التي لا يستطيع مكان ما أن يبقيها داخله أكثر مما تريد..." (الرواية، 2007، 17).

كما وظف الروائي نصر الله اللغة العامية بشكل لافت للانتباه، وقد وردت في كثير من مواقع الحوار بين الشخصيات، وساهم ذلك في إعطاء واقعية جميلة ومتميزة للحوار وجعل الشخصيات أقرب إلى الإنسان القارئ لأنها يشعر أكثر بقربه من شخصيات الرواية، ومن الأمثلة على هذه العبارات العامية قوله: "شو؟''، وقوله: "أنا رايحة" (الرواية، 2007، 47)، وقوله: "من شان الله" (الرواية، 2007، 65). وغيرها أمثلة كثيرة، وكلها تعبر عن انفعالات الشخصيات خصوصا التي ترتبط بالغضب منها.

آليات توظيف اللغة العامية في رواية "أعراس آمنة"

وظف نصر الله اللغة المحكية بلهجة الفلسطينيين المتوسطة بين أهل غزة والعامية في وسط الضفة الغربية، وهي اللهجة التي يفهمها جميع الفلسطينيين دون استثناء، وقد جاء ذلك في آليات عدّة، هي:

الأولى: المزج بين اللغتين الفصيحة والعامية، في داخل العبارة نفسها، ومثلها: "رِجعوا يقصفوا، أم أن هناك من يطرق الباب؟".

ومنه كذلك: كنت متأكدة من هذا، ولكنن ظننتُ أنني أحلم، الله لا يخلي واحد فيهم، خلطوا ليلنا بنهارنا.

الثانية: توظيف كلمات محددة عامية الاستعمال ترتبط بمواقف محددة، تأتي في سياقات محددة، كقوله على لسان الشخصية عند الحديث عن فتاة أصبحت أهلا للزواج:

ابني كبر، كبرَ بما فيه الكفاية، وأختك صبية ما شاء الله تملي العين، مثلك!

ومنه كذلك ما يقوله الفلسطينيون عند تأجيل الأشياء في سياق حواري: "لا لا، الشاي نشربه بعدين، ولستُ جائعة، الآن سأمرّ على البيت آخذ بعض الأشياء التي أحتاجها".

ومثله ما يقال عن المستعجل في الأمر، حين قالت آمنة لإحدى الأخوات: "بصلتك محروقة!".

الثالثة: توظيف العبارات الإنشائية في السياق الحواريّ للتعبير عن حالة نفسية عند الشخصيات، ومنه تساؤل إحدى الشخصيات "شو؟!" ومثله "بتتمسخر عليّ؟!" ومثله كذلك "فِكرَك؟"، و"وبعدين يا ولاد؟ والله إنكم حيرتوني!"، و"لا تريد أن تنهض، بلاش!".

الرابعة: في المقطع الحواري التام والكامل، المبني على العامية بشكل مباشر، مثل هذا الحوار:

- اسم أبو مين؟
- آثار
- آثار؟ وهل للآثار آباء مثلنا؟
- يا ستي، آثار الحكيم اسم ممثلة مصرية في السينما والتلفزيون.
- بس بذمتك يا ستي، اسمها كله على بعضه أليس جميلاً؟
- بصراحة متزعليش مني، لأ مش حلو شوفي اسمي شو حلو.

الخامسة: الراوي يتكلم بالعامية، ومن المهم الإشارة إلى أن الراوي في الرواية كلها هو إحدى الأخوات دائما، رندة، لميس:

الساعة صارت تسعة، جمال، لا أريد أن يسمعوا صوتي، لقد ذهبتُ إليهم، رأيت رندة، رندة أختها، أخت مين؟!! أخت لميس... مين؟! لسة بتسألني مين؟ رندة!

السادسة: الموروث الشعبي – الأغنية الشعبية، وقد جاء قليلاً في الرواية، ومنه:

دقت على قلبي وقالت لي افتحه * تا شوف قلبي إن كان بعدُه مطرحه!

السابعة: مزج العامية بروح التعبير عن مفردات الظرف السياسي، وقد رأيت أن أفردها وحدها لخصوصيتها في ظل الوضع السياسي الذي تعيشه غزة، الذي يعبر عنه الكاتب في هذه الرواية، وهو واضح الخصوصية، ومنه قوله:

"... لكن صالح بلغة غزة صعد الأمر أكثر" في إشارة إلى تصعيد الرد على اعتداءات الاحتلال وتصعيد الاحتلال للقصف العسكري.

ومنه تلك المحاضرة الأخلاقية الوطنية التي وردت على لسان آمنة في حديثها عن حالة الانقسام الفلسطيني الحزين، وهي محاضرة بصوت عالٍ جداً، تقول فيها:

"... مش عارف على إيش بتتقاتلوا، ماهو، إذا كنت مع حماس إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت مع الجهاد إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت مع فتِح أو مع الشعبية أو الديمقراطية إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت مع المقاومة إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت مع الاستسلام إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت مع أبو عمار إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت ضده إسرائيل بتقتلك، وإذا كنت بتفتح الشباك على شان تشوف شوصاير، بيجي قناص وبقتلك. وإذا كنت ماشي في الشارع أو نايم في بيتك وبس في حالك، بيجي صاروخ من السما وبقتلك!!! وعلى إيش إنتوا بتتقاتلوا والله ما اني فاهمة؟!!".

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المرتبطة بتوظيف اللهجة العامية في الرواية الفلسطينية،

وخصوصًا في رواية أعراس آمنة لإبراهيم نصر الله، ومن أهم ما توصلت إليه أنه قد تعددت سمات اللهجة العامية التي وظفها نصر الله في الرواية، وحققت مجموعة من المواصفات الفنية، ومن أهمها:

أولا: وظف الروائي نصر الله اللغة العامية بشكل لافت للانتباه في روايته أعراس آمنة، وقد وردت في كثير من مواقع الحوار الخارجي بين الشخصيات، ولم يستعمل اللغة العامية إلا في هذا النوع من الحوار.

ثانيا: أدى استخدام اللغة العامية في رواية أعراس آمنة إلى إعطاء الحوار واقعية ملموسة ترتبط ارتباطاً مباشراً بشخوص الرواية الفلسطينيين أهلِ غزة، كما أسهمت هذه الواقعية في أن تتشابك الأدوات المساندة في التعبير عن الهمّ الفلسطيني من أجل تحقيق الهدف النهائي للأديب، وهو التعبير عن الإنسان الفلسطيني على اختلاف ظروف حياته وقضاياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثالثا: جعل نصر الله الشخصيات الروائية أقرب إلى الإنسان القارئ لأنه يشعر أكثر بقربه منها، في سلوكها الحكائي وممارستها اللغوية، وكلها تعبر عن انفعالات الشخصيات وتنغيمها الكلامي، كالاستفهام والالتماس والإجابات الغاضبة، وهو ما وضع أصوات الشخصيات في أذن خيال القارئ أكثر من توظيف اللغة الفصيحة.

وفي ذلك السياق، يرى باختين أن الإنسان المتكلم في الرواية هو، جوهريا، إنسان اجتماعي مُشَخَّص، مُحَدَّد تاريخيا، وكلمته لغة اجتماعية (...) وهو دائما صاحب أيديولوجيا بقدر أو بآخر، وكلمته هي دائما قول أيديولوجي، واللغة الخاصة في الرواية هي دائما وجهة نظر خاصة إلى العالم تدعي قيمة اجتماعية.

رابعا: اعتمد نصر الله في توظيفه للعامية داخل الرواية على اللغة العامية المعيارية بعيدة عن الزخرف والشعريّة والانحراف عن صياغات الكلام المحكي في الحياة العامية، وقد جاءت ظواهر كالتكرار جزءاً من هذه الممارسة اللفظية في الكلام الطبيعي.

خامسا: لجأ الروائي نصر الله إلى استعمال كلمات محض عامية وتعامل معها كأنها فصيحة، ولهذا الأسلوب أكثر من هدف، فقد وردت في أحد المواقع للسخرية من الواقع، وقد يكون لها دور في إحساس الروائي بأن هذه الكلمة قادرة على التعبير عن موقف ما أكثر من غيرها.

وبناء على هذه النتائج، توصي الدراسة بعمل المزيد من الدراسات التي تتناول توظيف اللغة المحكية في الأدب، كونها انعكاسًا صادقًا لما تحمله الشعوب من تطورات فكرية واجتماعية ولغوية وفنية للتعبير عن تجاربها، ولدورها في بناء شحنات وجدانية وفكرية وذهنية ضخمة للمتلقي عند استعمالها بشكل متقن ومبني على إبداع أدبي كما فعل الروائي إبراهيم نصر الله.

قائمة المراجع:

1. باختين، ميخائيل (1987)، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر، القاهرة
2. باشا، عمر موسى (1990)، إشكاليات اللغة العربية بين الأصالة والإعجاز والحداثة، الفكر العربي، العدد 60، السنة 11، نيسان
3. حمدان، عبد الرحيم (2008)، اللغة في رواية تجليات الروح للكاتب محمد نصار، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 16، العدد 2، يونيو
4. الحمداني، حميد (1989)، أسلوبية الرواية، ط1، الدار البيضاء،
5. ستيتية، سمير (1987)، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني، الجامعة الأردنية
6. العتوم، مهى (2007)، الازدواجية اللغوية في الادب – نماذج شعرية تطبيقية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 4، العدد 1
7. العيلة، زكي، لغة المرأة في الرواية الفلسطينية، http://aslimnet.free.fr/div/z_aila2.htm
8. القدس العربي (2017)، رواية أعراس آمنة نشيج لملحمة العروبة التائهة، مقال بتاريخ 2 تموز. https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF
9. المصري، عباس (2014). أبو حسن، عماد، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، محلة المجمع، العدد 8
10. الموسى، نهاد (1992)، نحو نموذج فصيح للخطاب العامي، بحث مقدم لمؤتمر قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن العشرين، ماليزيا
11. نصر الله، إبراهيم (2007)، أعراس آمنة، الطبعة الثالثة، الدار العربية للعلوم، بيروت
12. أبو هيف، عبد الله (1990)، لغة الحوار في الرواية العربية، الفكر العربي، العدد 60، السنة 11، نيسان